المنار

السنة الثالثة من مجلاته ومن تاريخ الحكمة فقيل أتى الحكمة من بلغ ما بلغ الحكيم فقيل أتى الحكمة من بلغ

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان الاسلام عرى و«منارا» كمنار الطريق

مصرفي يوم الخميس ١١ محرم الحرام سنة ١٣١٨ * ٣٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٠

خير الدنيا والآخرة

(٢)

بينا في المقالة الاولى ان الانسان مادي روحاني وان عوارض المادة تغلب عليه أولا فتكون عنايته مصروفة لتحصيل اللذات الجسدية والمنافع المادية التي تجعله سعيداً في حياته الدنيا ثم يظهر فيه الميل الى اللذات الروحية والمعارف العقلية فتكون فيه ضعيفة تحتاج الى تقويتها بالارشاد السماوي وهو الدين

ونقول الآن ان العمل لتحصيل المنافع المادية له طرف نقص وطرف كمال فالاول ان يعمل الانسان لنفسه فقط ولا يبالي في سبيل لذته بسائر الناس أضرهم عمله أم نفعهم والثاني ان يعمل لنفسه ولغيره ولهذا الكمال درجات أدناها أن يعمل لمنفعة أهله وعشيرته وأوسطها أن يعمل لمنفعة وطنه وأمته وأعلاها ان يكون مرمى طرفه منفعة أبناء جنسه والناس أجمعين والمنافع الروحية العقلية تنقسم أيضاً الى هذه الاقسام والدرجات

ما خلق الله الانسان ليعنته وما كلفه بان يقلب طبيعته . خلق آدم

وخلق زوجه له ليسكن اليها وأمرهما بان يتمتعا باللذات الجسدية ونهاهما عن الاكل من شجرة واحدة ليتعلما بذلك كف النفس عن الشهوات فان من لا يستطيع كف نفسه عن شيء مما يشتهيه تورده موارد الهلكة وتقذف به في هاوية الشقاء. قص الله علينا قصة ابينا آدم لنسترشد بها ثم قال مخاطبا لنا ممتنا علينا بالمنافع الدنيوية ﴿ يابني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ فالاول ما لا بد منه والثاني للزينة والثالث للتوقي من الحرب فاستوفى أقسام الالباس كلها . ثم حذرنا من الفتنة التي نزعت عن أبوينا لباسهما وأظهرت سوآتهما وأخبرنا أنه أمر بالقسط والاعتدال في الامور كلها ثم أمرنا بالعبادة الروحية فقال ﴿ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ﴾ الآية . ثم بين أن الزينة لا تنافي العبادة بل تجامعها وتلازمها وان العبادة لا تؤدي الى ترك اللذات الحسية المعتدلة بل تستعقبها وتنتهي اليها فتكون ثمرة الدين في هذه الحياة وفي الحياة الاخرى وقال ﴿ يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ ولو لا انه قل خالصة يوم القيامة لفهم ان غير المؤمن لاحظ له في لذات الدنيا وقد كررنا التنبيه على هذا في المنار ليعقله الذين سجلوا على المسلمين الحرمان من الطيبات لانهم مؤمنون مسلمون . ولما كان الافراط في اللذة والاسراف في الزينة يؤديان الى الفواحش والمآثم والبغي والتعدي أخبرنا انه لا ينهانا من حيث الدنيا الا عن هذه الاشياء كما

انه لا ينهانا من حيث الدين الا عن الشرك وان نقول على الله مالا نعلم . ومنه ان نزيد في دين الله تعالى عبادة أو تحريما او تحليلا فقال « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون »

هذه الآيات خطاب عام من الله جل ثناؤه لبني آدم اجمعين فهي أصل الاديان كلها ولذلك عقبها بقوله « يابني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » ثم فصل الوعيد والوعد ووصف العقوبة والمثوبة وأقام الدليل والبرهان واستلفت العقل واستصرخ الوجدان وأنشأ بعد هذا كله يقص على هذه الامة أخبار الامم مع المرسلين وما أخبرنا ان رسولا منهم كلف قومه بان يكونوا روحانيين خلصا يعرضون عن عمارة الدنيا ويجعلون عملهم كله للآخرة بل كانوا يمنون عليهم بالتمكن في الارض والخلافة والاستعمار فيها وسعة الرزق وكثرة العدد وبسطة الملك والعزة والقوة وينهونهم عن الشرك والمفاسد التي تزيل هذه النعم اقرأ ان شئت قوله تعالى حكاية عن هود عليه السلام « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون » وقوله عنه ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴾ الى قوله « فان تولوا فقد أبلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ » وقوله تعالى في قصة صالح عليه السلام ﴿ والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم

من الله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب) وقوله تعالى حكاية عنه (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً واذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) وقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقوله تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)

ومن يقرأ التوراة لا يكاد يرى فيها ذكراً للآخرة لا ترغيباً في جنتها ولا ترهيباً من نارها وانما يرى تكفير الذنوب فيها بتقديم القربين من الذبائح والمحرقات وغيرها فهي عقوبة بتفويت شيء من الدنيا عليهم ويرى العبادات معللة بالشكر على الخلاص من نقمة أو الاتحاف بنعمة ففي الباب ٢٣ من سفر الخروج ما نصه (١٤ ثلاث مرات تعيد لي في السنة ١٥ تحفظ عيد الفطير تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك في وقت شهر أبيب لانه فيه خرجت من مصر ولا يظهروا أمامي فارغين ١٦ وعيد الحصاد أبكار غلاتك التي تزرع في الحقل . وعيد الجمع في نهاية السنة عند ما تجمع غلاتك من الحقل ١٧ ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك امام السيد الرب اه) هكذا وعيد التوراة البلاء في الدنيا باذهاب الرزق والسلطة والاجلاء من الارض ووعدها التمكن في الارض وسعة الرزق فيها قال في الباب الرابع من سفر التثنية (٤٠ واحفظ فرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم لكي يحسن اليك والى

ولادك من بعدك)

وقال تعالى حاكياً عن الامم بالاجمال بعد ماقص أخبارهم مع المرسلين
(ولو ان أهل القرى [١] آمنوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض [٢] ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)

يدلنا كل هذا على صحة ماجاء به الاسلام من ان الله تعالى جعل الدين لمصلحة الناس لا لاعناتهم والخروج بهم عن طبيعة بشريتهم وعلى تحقيق ما ذهب اليه أستاذنا في (رسالة التوحيد) من ان سنة الله في الانسان منفرداً كسنته فيه مجتمعاً طفولية فتمييز تدريجي فرشد وعقل وقد أعطاه الله تعالى في كل طور ما يليق بحاله من تعاليم الدين . ولما استعد النوع الانساني لفهم حقيقة الانسان وللقيام بما تطالبه به الانسانية من حيث جسديته وروحانيته مما أرسل الله في أثر أولئك المرسلين السيد المسيح عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الى مقابل ما هم فيه أو نقيضه يدعوهم لان يتركوا الدنيا بالمرة ويكونوا روحانيين خلصا لتكون دعوته تمهيداً للدعوة المعتدلة الممكنة التي تكون من بعده وهذه هي الطريقة المثلى في الارشاد يدعى الواقف عند أحد طرفي الافراط أو التفريط الى الطرف الآخر ليكون مبلغ جهده في الاجابة الوصول الى الوسط

جاء في الباب ١٩ من انجيل متى ما نصه (٢٣ فقال يسوع لتلاميذه

---

(١) المراد بأهل القرى الامم الذين بعث فيهم الانبياء والقرى المدن ولم يبعث الانبياء في أهل البادية لانهم أبعد عن مبادىء الاجتماع المعبر عنه بالمدنية والاديان انما تدعو للاجتماع وأهل المدن أقرب اليه لما عندهم من مبادئه (٢) أي لوسعنا عليهم الخير ويسرناه من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات اه بيضاوى

الحق أقول لكم انه يعسر ان يدخل غني الى ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضا ان مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من ان يدخل غني الى ملكوت الله ٢٥ فلما سمع تلاميذه بهتوا جدا قائلين اذن من يستطيع ان يخلص ٢٦ فنظر اليهم يسوع وقال لهم هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع) وهذه المسئلة مذكورة في غير انجيل متى أيضا وفي معناها كلمات أخرى في الاناجيل . أنذر الاغنياء بسوء العاقبة وأمر بالخضوع لكل سلطة ومغفرة كل ذنب لكل أحد ومحبة الاعداء وذكر ان اللذات الجسدية لا تكون لاهل الحق الا في الملكوت حيث تكون اللذات الروحية كقوله (طوبا كم أيها الجياع الآن لانكم تشبعون) وقوله (الحق أقول لكم اني لا اشرب بعد من نتاج الكرمة الى ذلك اليوم حينما أشربه جديدا في ملكوت الله) اه مرقس وغيره . وفي الباب الخامس من أعمال الرسل انهم كانوا يكلفون المؤمن ان يبيع كل ملكه ويأتي بجميع ثمنه للرسل وقد أمسك رجل اسمه حنانيا بعض ثمن حقل له وأعطى الباقي للرسل فوبخه بطرس وسماه مختلسا فمات حنانيا من كلامه

بهذا وبما تقدمه استعد النوع الانساني لفهم الحقيقة الانسانية والقيام بحقيها الروحي الجسدي على صراط مستقيم فمنحه الله دين الاسلام فيه تبيان لكل شيء وجعله آخر الاديان جاء بالحق وصدق المرسلين وجمع بين انواع هداهم وارشادهم كما قال تعالى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقد خاطب القرآن أهل هذا الدين بقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني

لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) ولم يختلف أحد من أئمة هذا الدين في ان غايته سعادة الدنيا كما في هذه الآية وسعادة الآخرة كما في الآيات الكثيرة وان الاعراض عنه مجلبة للشقاء في الدارين قال عز وجل « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » فضيق المعيشة في الدنيا من آثار الاعراض عن كتاب الله ودينه وهو دليل على الشقاء في الآخرة بالنسبة لمجموع الامة ايضا .

فعلم مما شرحناه ان القرآن ما اخبرنا بأنه يستخلفنا بدينا في جميع أقطار الارض تتصرف فيها كما تتصرف الملوك (قاله البيضاوي في تفسير الآية) وانه سخر لنا ما في السموات وما في الارض جميعا منه وما أمرنا بأن نطلب منه حسنة الدنيا والآخرة الا وقد جعل ثمرة دينه كلا الامرين وما جاء في القرآن من ذم الدنيا فهو لتأديب المسرفين وكبح جماح المفرطين ولكن من المسلمين من انصرف الى الغلو في التزهيد عملا بنصف الدين الروحي ومنهم من انصرف الى النصف الآخر وسنبين غلط الفريقين « ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »

﴿فرنسا والاسلام﴾

عجبا للدم الذي تحرك لكلام المسيو هانوتو كيف لم يتبيغ لكلام القومندان نابليون بي وعجبا للقلوب التي جرحها ذلك كيف لم يذبحها هذا بل عجبا للنفوس التي اضطربت للاول كيف لم تزلزل الثاني وجودها زلزالا الا ان قومنا لا يزلون أغرارا يغترون بالظواهر . وينخدعون للمظاهر .